تجليات السياق في خطبة الخليفة المنتصر بالله
-دراسة تداولية-

Aspects of context in the discourse of Caliph Al-Muntasir bi Allah
-Pragmatic study-

طالب دكتوراه/ فؤاد مرزوقي
الدكتور: فريدة لعبيدي

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة الشاذلي بن جديد-الطارف(الجزائر)

مخبر التراث والدراسات اللسانية، جامعة الطارف.
fouedmerzougui36@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/18 تاريخ القبول: 2021/01/01 تاريخ القبول: 2021/03/15

ملخص:

تعد المناهج المعاصرة من الأهمية بمكان أن صارت تستشعر كنه الأدب واللغة بما يقارب المفهوم العلمي، وذلك بتناولها للقضايا بدقة، وتعد التداولية باعتبارها استراتيجية هامة في تحليل الخطاب أقدر وأصلح هذه المناهج لمقاربة النص التراثي؛ بما تنتجه من إجراءات فعالة وهذا يعني الجمع بين المنهج البنائي والوصفي والمنهج التفسيري، والوصف وحده يعزل الأثر الأدبي عن المجتمع والتاريخ أي أن العملية الإبداعية أو اللغوية لا تتحقق إلا في ظل تواصل حقيقي بين باث ومتلق في سياقات مختلفة تتطلبها مواقف في الحياة الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات؛ المنهج؛ التداولية؛ التراث العربي؛ المقاربة؛ التقويم.

Abstract:

Contemporary approaches are so important that they feel the essence of literature and language in a way that approaches the scientific concept, by handling the issues accurately and clearly, as an important strategy in discourse analysis, pragmatics considered to be more capable and correct of these approaches to study the heritage text, With the effective procedure sit products, this means combining the constructive, descriptive and the explanatory approach, description alone isolates the literary effect of society and history, which means that the creative or linguistic process can only beachieved in the light of actual communication between a sender and a recipient in differentcontexts,which are required by situations of social life.

key words: Linguistics; Deliberative; Curriculum; Arabheritage; Approach; Calendar.

1. تعريف المنهج التداولي:

تعرف التداولية بأنها: "دراسة اللغة التي تركز الانتباه على المستعملين وسياق استعمال اللغة بدلا من التركيز على المرجع –علاقة العلامة بما تحيل إليه، أي علاقة الدال والمدلول–أو قواعد النحو-أي علاقة العلامة فيما بينها في التركيب النحوي"[1] فالتداولية: "تدرس استعمال اللغة في السياق، وتوقف شتى مظاهر التأويل اللغوية على السياق، فالجملة الواحدة يمكن أن تعبر عن معاني مختلفة أو مقترحات مختلفة من سياق إلى سياق"[2]

تذهب أغلب المعجمات والموضوعات إلى أن أصل كلمة Bragmatique ذات أصل يوناني (Bragma) الذي يعني العمل (Action) و منه الصفة اليونانية Bragmatiko[3]، كما عرفت في الإغريقية بصورة (Pragmatiques)، وفي اللاتينية بصورة Bragmatics وقد استعمل المصطلح بعد ذلك في القرون الوسطى في فرنسا في مجال الدراسات القانونية وابتداء من القرن 17م انتقل استخدام المصطلح إلى الميدان العلمي فصارت كلمة Bragmatique تعني كل بحث أو اكتشاف من شأنه أن يعرف أو يفضي إلى تطبيقات ذات ثمار عملية وفي منتصف القرن التاسع عشر وجد المصطلح طريقه إلى المجال الفلسفي، وأول من صاغه هو "شارل ساندرس بيرسCharle Sanders Peirce " من خلال موضوعه "كيف نوضح تفكيرنا" الذي نشر عام 1848م ليعبر عما معناه عملي أو صالح لغرض معين لتأسيس الفلسفة الذرائعية التي يقابلها المصطلح Pragmatisme[4]

ويعود الفضل في ظهور هذا الفرع الجديد من اللسانيات إلى اللساني والفيلسوف الأمريكي "شارل موريس Ch. Morris" في كتابه الذي نشره سنة 1938 بعنوان أسس نظرية العلامات Foundations Of The Theory Of Signs ويجعلها أحد الفروع الثلاثة لعلم العلامات (التركيبي والدلالي والتداولي) فيقول: "ثلاثة أبعاد للسيميوطيقا هي: النحو (دراسة علاقة العلامات فيما بينها في التراكيب النحوية)، والدلالة (دراسة علاقة العلامة بالمرجع الذي تحيل إليه)، والتداولية (تدرس علاقة العلامات بمؤوليها)"[5]

وقد رسخت التداولية قدمها في الدرس اللغوي مع جهود تتالت بعد ذلك مع ما قدمه جون أوستن 1960 Iohn Austin وبول غرايس H.PaulGrice وجون سيرل Jr.Searle وما شهدته

عند العقد السادس من القرن الماضي من ازدهار، وقد اتسعت دائرتها لتعبر عن اتجاهات متعددة باتت تستقطب اهتمام الدارسين وتهيمن بأبحاثها ومناهجها الدراسية على واقعنا اللساني ويشير "جون ديبوا Jean Dubois" إلى أنه تحت مظلة هذه التسمية تصنف عدة اتجاهات شديدة الاختلاف فيما بينها، غير أن ما يجمعها من الأصل أنها تتعلق بوصف اللغة في الاستعمال[6]، وقد غدت العبارة الأخيرة هي التعريف الاصطلاحي المبسط للتداولية الذي تناقلته الدراسات والأبحاث إلى جانب تعريفات الأخرى نجد كل منها يركز على عنصر في التواصل الخطابي وذلك أنها :

– دراسة جوانب المعني التي تهملها النظريات الدلالية.

- هي دراسة جوانب السياق التي تشعر شكليا في تراكيب اللغة.

- فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم.[7]

إنّ للغاية بالظواهر الكلامية الفضل في التحول الجذري الذي أصاب الدراسات اللغوية، فغيرت النظرة إلى اللغة وبذلك أجابت التداولية باستخدام آليات منهجها عن الكثير من الأسئلة المتعلقة باللغة، والمحيطة بإنتاجها، كتحديد منتجها ومؤولها، وماهية الرسالة فيها والقصد من إنتاجها والسياق الموافق لإنتاجه[8]، لأنّ اللغة "نشاط يتحقق من خلال وقائع الخطاب التي تخصصها علامات خاصة تلك العلامات التي نسميها المؤشرات دورها يكمن في تصيير اللغة خطابا فعليا هذا التصيير هو الحدث أو التلفظ؛ أي إجراء اللغة وتحقيقها من خلال فعل كلامي فردي"[9]

إذن فقد فتحت التداولية بابا جديدا لفهم اللغة ومعرفة خصائص استعمالها: "أي الدوافع النفسية للمتكلمين، وردود أفعال المتقبلين والنماذج الاجتماعية للخطاب وموضوعه وذلك بمراعاة الخصائص التركيبية والدلالية ثم تحولت فيما بعد مع أوستن Austin إلى دراسة أفعال اللغة إلى أن امتدت وأوسعت نماذج الاستعمال والتلفظ وشروط الصحة والتحليل الحواري"[10]

إن الدرس اللغوي التداولي يدرس اللغة في التواصل لا بمنعزل عنه فإذا كان النص تراثي فهو يحاول بعثه من جديد وإحيائه من خلال تحديد عناصره والسياق الذي قيل فيه وتحليل الأفكار والطرق أو الاستراتيجيات المعتمدة فيه فالمنهج التداولي من أنسب المناهج لمقاربة

أي نص نفعي له آثار مخصوصة على حركة المجتمع وتطوره، والخطاب في الرسالة الديوانية نفعي خاصة وأنه يسهم في تنظيم شؤون الدولة داخلا وخارجا ويحدد ما للفرد من حقوق وما عليه من واجبات وما لا يجب تعديه[11]

وبتعبير آخر يمكن أن يكون موضوع التداولية هو موضوع الدلالة الثابت نفسه مضاف إليه سياق الاستعمال؛ فالتداولية على ذلك تدرس اللغة في إطارها التواضعي، وهي بذلك تعني بمنجز الخطاب والمتلقي والسياق والقصد والتأويل[12] وفي هذا المقال سوف نقف على بعض آليات هذا المنهج في مقاربة نص نثري تراثي وبالتحديد قضية السياق.

2. مفهوم السياق

السياق لغة:

السياق "من السوق وأصله يسواق، فقلبت الواو ياء لكسرة السين"[13] وفي سياق آخر: "انساقت وتساوقت الإبل تساوقا: إذا تتابعت والمساوقة، المتابعة كأن بعضها يسوق بعض "[14] وقال ابن فارس: "السين والواو والقاف: أصل واحد وهو حد الشيء يقال: ساقه يسوقه سوقا"[15] ولفظ السياق مستعمل كثيرا عند الأصوليين فيقولون: "السياق الكلام وسياق النظم واللفظ الواضح فيما سيق له، وما كان الكلام مسوقا لأجله، وأوجه نفس الكلام وسياقه، والنكرة في سياق الشرط، والفعل في سياق الشرط، إلى غير ذلك من استعمالات الأصوليين لكلمة السياق"[16]

السياق اصطلاحا:

السياق عبارة عن بناء نصي متكامل تكون فيه الفقرات مترابطة تحكمها الدلالة الكلية للنص، يعرفه فاضل السامرائي بقوله: "السياق هو مجرى الكلام وسلسلة اتصال بعضه ببعض"[17]، وهو أيضا "هيئة مجرى الجمل، وكيفية نظمها واتصالها ببعضها ومعرفة أحوالها في الكلام"[18] ويذهب دي بوغراند De beaugrande" إلى أن السياق هو: "البحث فيما وراء اللغة وما وراء الدلالة أي النظر في الوعي الذاتي بالأحكام التي تتخذ بالنسبة للرصف والمعنى؛ وهي الأغراض النفعية التي يهتم بها حقل التداوليات"[19]

إن الاهتمام بالسياق أمسى مسألة ضرورية في مجال اللغة ومعالجة نصوصها المنتجة أين يتيح لنا الحديث عن الأشياء بدقة ووضوح، وتحديد دراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والكلامي في الاستعمال اللغوي.

3. التعريف بالمدونة المختارة:

تمثلت المدونة المراد دراستها والتطبيق عليها في نص التراثي وهو رسالة ديوانية من العصر العباسي كتبها وأرسلها الخليفة المنتصر بالله إلى الجند والعامة والخاصة لمبايعته.

ويكتب هذا النوع من الرسائل كما هو معلوم في غرض رسمي لتسيير شؤون الدولة وتصدر عن الحكام والولاة لتوطيد دعائم الحكم ومعالجة المشكلات، وتصور الرسائل الديوانية الحياة الاجتماعية في ذلك العصر، وما كان يعتريها من ثورات.

وقد عرف عن خلفاء العصر العباسي حرصهم الشديد على حسن إدارة دولتهم والسهر على مصالح الرعية، لينتظم لهم أمر الملك فلم يدخروا وسعا في اقتباس الأساليب الإدارية النافعة من الأقوام الأخرى لتطبيقها في دولتهم وإنشاء الدواوين وأجهزة الإدارة في مرافق الدولة المترامية الأطراف بكل نجاح، "والديوان كلمة فارسية معناها السجل أو الدفتر الذي تدون فيه الأسماء، والأموال وقد أطلق الاسم مجازا على المكان الذي يعمل فيه الموظفون المختصون بالعمل في الديوان"[20]

إن أول من أنشأ الدواوين في الدولة الإسلامية عمر بن الخطاب -رضي الله عنه– فلم يكن على عهد الرسول -صلي الله عليه وسلم– ولا عهد الخليفة الأول دواوين واستمر الأمر بعد عمر بن الخطاب ومع اتساع الدولة وزيادة مواردها المالية اقتضى الأمر خطوة إلى الأمام على طرق التنظيم الإداري والمالي للدولة، فكان إنشاء الدواوين "فيرجع الفضل إلى عمر بن الخطاب في إنشاء الدواوين في الدولة الإسلامية مستفيدا في ذلك بتجارب الفرس والروم"[21]

وتعد الرسالة الديوانية من الكتابة الفنية التي ظهرت في العصر العباسي وهي: "نثر محبّر أو بعبارة أخرى هي نثر فني عمادها التأني والتروي في اختيار المعاني والألفاظ وصياغتها بأسلوب جذاب بما فيها من اتساق التركيب وتلاؤم الشكل والمضمون، والأمر

الـذي يثيـر المتعـة بسـحر البيـان وذلـك بقـدر أثـر الاستحسـان"[22]، ويصـدر الخطـاب في الرسـالة الديوانيـة مـن الفئـة العليـا أو الفئـة الحاكمـة، لـذا يغلـب على لغـة الخطـاب فيهـا الضـبط والانضـباط والشـدة والعزيمـة، فتكثـر عبـارات الأمـر والنهـي والتهديـد والتحـذير والنصح، والوعـد والوعيـد في اسـتعمالاتهم اللغويـة، كمـا يكثـر اسـتعمال ضـمير الجماعـة. ولهـا بنيـة خاصـة تكـون كالتـالي: ذكـر المرسـل والمرسـل إليـه، البسـمة والموضـوع، والخاتمـة، والتوقيع، والختم.

نص الرسالة:

نص البيعة التي بايعه بموجبها الجند والعامة والخاصة:

بسـم الله الرحمـان الـرحيم تبـايعون عبـد الله المنتصـر بـالله أميـر المـؤمنين بيعـة طـوع واعتقـاد ورضـا ورغبـة وإخـلاص مـن سـرائكم، وانشـراح مـن صـدوركم وصـدق مـن نيـاتكم لا مكـرهين ولا مجبرين، بـل مقـرين عـالمين بمـا في هـذه البيعـة وتأكيـدها مـن طاعـة الله وتقـواه وإعـزاز ديـن الله وحقـه، ومنـة عمـوم صـلاح عبـد الله واجتمـاع الكلمـة، ولَـمُ الشـعث، وسـكون الـدهماء، وأمـن العواقـب، وعـز الأوليـاء وقمـع الملحـدين، على أن محمـدا الإمـام المنتصـر بـالله عبـد الله وخليفتـه المفتـرض علـيكم طاعتـه ومناصـحته والوفـاء بحقـه وعقـده، لا تشـكون ولا تـدهنون ولا تميلـون ولا ترتـابون وعلى السـمع لـه، والطاعـة والمسـالمة والنصـرة والوفـاء، عنـد كـل مـا يـأمر بـه عبـد الله في السـر والعلانيـة والخفـوف والوقـوف، عنـد كـل مـا يـأمر بـه عبـد الله الإمـام المنتصـر بـالله أميـر المـؤمنين، وعلى أنكـم أوليـاء أوليائـه وأعدائـه مـن خـاص وعـام وأبعـد وأقـرب، وتتمسـكون ببيعتـه بوفـاء العقـد وذمـة العهـد، سـرائركم في ذلـك مثـل علانيـتكم، وضـمائركم مثـل ألسـنتكم راضـين بمـا يرضـاه لكـم أميـر المـؤمنين في عـاجلكم وأجلكـم، وعلى إعطـائكم أميـر المـؤمنين بعـد تجديـدكم بيعـه هـذه على أنفسـكم وتأكيـدكم إياهـا في أعنـاقهم، صـفقة إيمـانكم، راغبـين طـائعين عـن سـلامة مـن قلـوبكم وأهـوائكم ونيـاتكم، وعلى لا تسـعوا في نقـض شـيء ممـا أكـد الله علـيكم، وعلى ألا يميـل بكـم مميـل في ذلـك عـن نصـرة وإخـلاص ونصح ومـوالاة، وعلى ألا تبـدلوا ولا يرجـع مـنكم راجـع عـن نيتـه وانطوائـه إلى غيـر علانيتـه وعلى أن تكـون بيعـتكم التي أعطيـتم بهـا ألسـنتكم وعهـودكم بيعـة يطلـع الله مـن قلـوبكم على

اجتبائها واعتقادها، وعلى الوفاء بذمته بها وعلى إخلاصهم في نصرتها وموالاة أهله، لا يشوب ذلك منكم دغل ولا أدهان ولا احتيال ولا تأول حتى تلقوا الله موفين بعهده، ومؤدين حقه عليكم غير مستشرفين ولا ناكثين، إذ كان الذين يبايعون منكم أمير المؤمنين إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما عليكم بذلك وبما أكدت هذه البيعة في أعناقهم وأعطيتم بها من صفقة أيمانكم وبما اشترط عليكم بها من وفاء[23]

4. تجليات السياق في الرسالة:

إن للسياق ومعرفته وإدراك كل مقتضياته أهمية كبيرة في تحديد مفهوم القول أو دلالته أو معناه، إذ كيف يمكن الحكم على مقولة ما أو جملة أو نص دون معرفة السياق الذي وردت فيها، فكتابة أي رسالة ديوانية مرتبط بسياق معين، فرسائل ديوان الخراج مثلا مختلفة عما يكتب من رسائل في دواوين أخرى، إذن فمعرفة السياق هو الذي يحدد طبيعة المراسلة التي يقدم الإداري على كتابتها(كاتب الرسالة الديوانية أو محررها)، وهنا يرى عبد الهادي بن ظافر الشهري أنه "ليس من السهل تحديد مجال السياق فيجب على أي واحد أن يأخذ بعين الاعتبار العالم الاجتماعي والنفسي الذي يؤثر في مستعمل اللغة في أي وقت كان (والسياق عنده ذو مفهومين) السياق اللغوي والسياق التلفظي أو سياق الحال أو سياق الموقف"[24]

السياق اللغوي: هو تلك الأجزاء من الخطاب التي تحف بالكلمة في المقطع وتساعد في الكشف عن معناها أي الألفاظ والتراكيب المكونة لنص الرسالة.

السياق التلفظي: هو مجموعة الظروف والملابسات والأحوال والمقتضيات المتعلقة والمحيطة بكتابة هذه الرسالة وتتضح في طلب المبايعة لتنصيب المنتصر بالله لنفسه خليفة على العرش بعد تجديد المبايعة له من قبل كل الأطراف المكونة للمجتمع العباسي آنذاك، ويرتبط هذا الحدث بمكان وزمان معينين، فالسياق اللفظي في معناه الأصلي "مجموعة الظروف التي تحف حدوث فعل التلفظ وموقف الكلام"[25] فرسالة المنتصر بالله كتبها على أثر وفاة أبيه المتوكل ستة (247 هـ-248هـ) أو قتله

إياه، وهو نص البيعة الذي يطلب فيه من الجند والعامة الرعية والخاصة حاشية القصر، أن يبايعونه بيعة إخلاص ووفاء.

مما سبق نجد أن فهم القول يتأتى من إحلاله ضمن السياق الاجتماعي الذي ورد فيه وعليه فلا يمكن التوصل إلى ماهية المعنى إلا بمعرفة الوسط الاجتماعي الذي قيل فيه.

يقول فيرث: "لدى أهل المنطق نزعة إلى القول بأن للكلمة والأطروحات معنى في حد ذاتها يمكن بطريقة أو بأخرى تحديده بمعزل عن المشاركين في الخطاب، أو الظروف والمناسبات التي وقع فيها الحدث الكلامي، يبدو أنهم لا يرون في طرحهم أهمية الأخذ بعين الاعتبار دون المتكلمين والمستعملين أما أنا فأقترح أنه لا يمكن الفصل فصلا تاما بين الأصوات المنطوقة وبين السياق الاجتماعي الذي تلعب فيه دورها"[26]

يقول براون ويول: "أنه يتحتم على محلل الخطاب أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي ورد فيه مقطع ما من الخطاب، فمعرفة السياق كما رأينا تتطلب فهما عاما وآخر خاصا يحدده الكلام في هيئته النهائية أو الجملة إذا كانت مستقلة، ولا يتأتى للمحلل تحديد هذا الفهم إلا بعد أن يتعرف على الماهية الكلية للكلام أو الجملة"[27]

إن أي تغيير لجملة ما في السياق قد يغير معناها كلية وهذا ما أشار إليه براون ويول: "علينا أن نحدد ما يمكن معرفته عن معنى قول ما، ومقامه بالاعتماد فقط على معرفتنا بأن القول قد حصل، فكلما لفتت انتباهي جملة ما، مستعملة في سياق ما، أجد نفسي أتساءل مباشرة عما إذا كان وقعها سيكون مختلفا لو حصل تغيير طفيف على السياق"[28]

وقد حدد هايمز (hymes) أهم الخصائص في السياق متبعا في الأصل منهج فيرث فكانت كالتالي:[29]

- الباعث والمتلقي: المنتصر بالله (الباعث) والجند والعامة والخاصة (المتلقي).

- معرفة الموضوع: المبايعة.

- القناة: الرسالة المكتوبة.

- الشفرة: اللغة (اللغة العربية الفصحى).

- صيغة الرسالة: رسالة ديوانية رسمية.

- الحدث: قتل المتوكل وشغور منصب الخلافة.

وخلاصة ما سبق أن الخليفة في سياق طلب المبايعة حرر رسالته كتابيا بلغة عربية فصحى وقد كتبها وهو عارف متلقيه (العامة والخاصة والجند)، متبعا صيغة الرسالة الديوانية الرسمية التي تكتب في مثل هذا السياق خاصة وأن منصب الخلافة شاغر لقتل المتوكل.

وقد حدد الجرجاني في حديثه عن المعنى شروطا للكلام وهي:[30]

- أن يكون الكلام لداع يدعو إليه إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر (نفع).

- أن يأتي له في موضعه (مطابقة الكلام لمقتضى الحال).

- أن يقتصر منه على قد حاجته (لا حشو ولا إطناب مخل).

- أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به.

ونص البيعة لا يخرج بما كان عن الشروط السابقة الذكر لما للضرورة في الاتصال؛ فالمنتصر بالله في موضع يستلزم تجديد المبايعة حتى يعتلي كرسي الخلافة، والنص في مجمله حسن التركيب، فلا إطناب مخل ولا حشو يضيع المعنى اللهم بعض التكرارات وهو بذلك مصيب لأنه في موضع ومقام جذب واستمالة ومحاولة تأثير على المتلقي من أجل تحقيق رغبته.

ولعل غرايس"PAULGRICE" هو أكثر إجرائية في استثمار السياق حيث يقول: "ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه السياق وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه أو الاتجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار"[31]

ولم يخرج الخليفة المنتصر بالله عما يتعلق بالمبايعة وأمورها الخاصة، أي أن فحواها لا يخرج عن مسائل السياسة والحكم والأمور التي تجمع الحاكم بمحكوميه من جند وحاشية وعامة، من مسائل اجتماعية واقتصادية وأحوال شخصية مثل

تطرقه لمسألة الطلاق في نهاية النص: "ونساؤه في يوم يلزمه الحنث ومن يتزوجه بعدهن إلى ثلاثين سنة طوالق البتة طلاق الحرج والسنة، ولا مثنوية فيه ولا رجعة ..."

لقد أولى الباحثون العناية الكبيرة والاهتمام الواسع بطبيعة الكلام، وبحثوا كثيرا عن أهم الخصائص والسمات التي تحقق له ذلك وتكفل حمله لمقتضيات الدلالة الكلية فيه والتي منها حسن اختيار الألفاظ، إذ يذهب فيرث "FIRTH" إلى أن المعنى المقصود لا يظهر، إلا بمراعاة الوظيفة الدلالية للألفاظ المستخدمة وبناء على ذلك فقد فرق بين خمس وظائف أساسية مكونة للمعنى هي: الوظيفة الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية[32]، ويقول سالم شاكر: "ليس للكلمة دلالة بل لها استعمالات ليس إلا "[33]

مثال: الكلمة = الرأي

أصلا = الكلمة: المفردة؛ تتمثل في: فعل أو اسم أو حرف.

الكلمة فعل واسم، والاسم يفيد السكون والثبوت وعدم التحول والتغير، في حين يفيد الفعل الحركة والتغير، وقد كثر المكون الاسمي على المكون الفعلي كون الخليفة وهو الطالب للمبايعة يرغب في ثبوت الرعية على العهود والمواثيق، والمتتبع للأفعال في الرسالة يجد أنها تشكل مجموعة من الأوامر الواجبة التنفيذ مهما كانت مكانة قائلها فهي عادة تصدر عن السلطة الحاكمة، يقول سمير عالية في هذا الصدد أن "الأفعال لا تكمن طبيعتها الفعلية أو الحديثة في كونها إنجازا أو ممارسة سيكولوجية يصطلح بها الطرف المحكوم عليه أو الصادرة في حقه بقرار، فهي أيضا سلوك لغوي يتجسد عبر العملية التواصلية بين (المتخاطبين) ويعكس نمطا ونشاطا اجتماعيا ومن خصائص القاعدة القانونية أنها قاعدة سلوك فهي ترسم للأفراد في المجتمع السلوك الواجب وتكلفهم الالتزام به"[34]، وإن لم تأت الأفعال بصيغة الأمر المباشر، فقد جاءت في معاني الأفعال الذي يبتغي الخليفة عن الرعية الامتثال لها وتنفيذها وكأمثلة على ذلك نذكر: تطيعوا، تعصوا، تسعوا، تميلون، تبدلوا ...

هذا عن الفعل أما عن الاسم فقد يدل على الوصف أو الحدث أو الاسم الجامد، فالحدث هو المصدر والوصف هو المشتقات والجامد ما سوى ذلك من الأسماء وكأمثلة نذكر: البيعة، عقد، عهد، طاعة، الدهماء، المنية، الركون، العهود، المواثيق...

فالاستعمال اللغوي متنوع في اللغة العربية، وأحيانا تصادفنا مظاهر لغوية لطالما اشتهرت بها اللغة العربية، ويطلق عليها اسم مشكلات المعنى[31] ومنها ظاهرة الأضداد والمترادفات فما يمكن تحدده في التبيان التالي:

الأضداد	المترادفات
السر ≠ العلانية	الرضا = الرغبة
العامة ≠ الخاصة	مكرهين = مجبرين
أبعد ≠ أقرب	المنية = الأجل

هناك عناصر يجب تحديدها حتى نتمكن من إدراك كل مقتضيات السياق مثل المتكلم والمستمع والزمان لذا "ينبغي للمحلل أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب والسياق يتشكل من المتكلم أو الكاتب والمستمع أو القارئ والزمان والمكان لأنه يؤدي دورا فعالا في تأويل الخطاب، بل كثيرا ما يؤدي ظهور قول واحد في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين"[35]

نطبق خصائص هايمز في السياق والتي تعد حسبه دائما للتصنيف على الرسالة:

محل الدراسة: مثال: 1-المرسل: المنتصر بالله، 2-المرسل إليه: الجند والخاصة والعامة، 3-الموضوع: المبايعة، 4-المقام: القصر سنة (204ه)، 5-النظام اللغة، 6-شكل الرسالة: رسالة ديوانية رسمية، 7-الحضور: الخليفة وكاتب الديوان (ديوان الخليفة)، 8-المفتاح: تنصيب الخليفة على العرش، 9-الغرض: الموافقة على ما جاء بنص المبايعة.[36]

إن الوقوف على كل عناصر السياق وتحديدها ومعرفة طبيعتها، يساهم بقدر كبير في إجلاء المعنى الكلي للنص، أو الرسالة والمتمثلة في الأطراف المتخاطبة أولا لأن كل خطاب يتأسس طبيعيا على موقف تخاطبي بين متخاطبين فيوجد على الأقل في

كل موقف تواصلي شخصان أحدهما فاعل حقيقي والأخر فاعل على جهة الإمكان أي المتكلم والمخاطب: "ويشكل طرفا الخطاب بؤرة العملية التواصلية فهما اللذان ينقلان اللغة من مجال الوجود بالقوة إلى مجال الوجود بالفعل، وعبر فعلهما هذا يستخدمان اللغة استخداما سياقيا، يقوم على انتقاء ما يتوافق مع الوضع الذي يعيشانه ويتحدد طرفا الخطاب في موقف سياقي باستخدام الاسم أو باستخدام الضمائر الدالة عليه.[37]

والجدير بالذكر أن المتخاطبين يخضعان إلى جملة من القواعد يؤطرها سياق المتكلم ويتأسس نجاح العملية التواصلية على مراعاة المتكلم للسامع، ولتحديد مكان وزمان إنتاج أهمية في فهم ونجاح وتأثير الرسالة في المرسل إليه.

كما يجب أن ننوه بضرورة الوقوف على نوع آخر من السياق يضطلع بقيمة كبيرة في فهم وإظهار الدلالة الكلية للنص أو الخطاب محل الدراسة والتحليل ألا وهو السياق الثقافي.

السياق الثقافي:

إن قراءة النص مقاميا تقتضي النظر إلى الملفوظات بوصفها مكونات نفسية ذهنية اجتماعية ثقافية نابعة من الوسط والواقع المعاش وفي الوقت نفسه تكون مبنية لغويا تمارس تأثيرها التواصلي والتفاعلي مع متلقيه"[38]؛ فرسالة الخليفة أو نص بيعته في أصل تركيبه وبنائه أفعال اجتماعية ثقافية تتجلى بالملفوظات المنطوقة على لسانه، وهي تمثل أفعالا كلامية تصرح بالأوضاع الاجتماعية وتعطي صورة واضحة عن الأحوال الثقافية في عصرها، فقد هيمنت الملفوظات ذات الدلالة الرمزية الثقافية التي أسهمت في تلوين الرسالة بصبغة ثقافية مميزة يستطيع الباحث في الأناسة الاستفادة منها، لأنها تعد وثيقة ذات أهمية بالغة من حيث رصدها لمظاهر الواقع الثقافي في العصر العباسي في صورته العامة خاصة بإبرازها للقيمة الفنية والأدبية للنص النثري الديواني رغم أنه نص إداري رسمي، كما بينت المستوى اللغوي والبلاغي والعلمي الرفيع للحكام في ذلك العصر، فهذه الرسالة تزخر بالقيم والعادات الثقافية للمجتمع العباسي مما يخول لها أن تكون سجلا كلاميا تواصليا لوضعيات ثقافية تفاعلية بين المتخاطبين (الخليفة والخاصة والعامة والجيش) فلهم رؤيتهم الثقافية الواحدة؛ فهذا النص ليست مجرد

ملفوظات منطوقة في صورة أبنية لغوية بل هي تعبير عن سلسلة خطابية ثقافية سائدة في واقعهم.

5. **خلاصة:**

ننتهي في الأخير إلى القول بضرورة معرفة السياق وكل مقتضياته من أجل إجلاء أي غموض دلالي يمكن أن يحول دون فهمنا للنص أو للخطاب المنتج ويعد السياق من أبرز المقولات المعرفية في المنهج التداولي ومنه فهو من أنسب المناهج لمقاربة النص التراثي العربي لأنه يستنطق كنه ولب المعاني فيه كما يضفي عليه روحا وحيوية ونشاطا، والنص التراثي العربي في حاجة دائمة للدراسة والتحليل والتنقيب وخاصة من قبل عقول وأقلام أبناء الأمة العربية.

6. الهوامش:

[1] the oxfor companion to philosophy,1995,p.709.

[2] the combridgedictionary of philosophy,lycan ,1995,p.588.

[3] Dictionnaire Hachette Hachette Livre Paris, Edition 2005 ,P1294.

[4] MorrisCharles ;foundations of the theoryof signs ,chicago,1972,p.56.

[5] الطاهر لوصيف، التداولية اللسانية، مقال منشور بمجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع17، 2006، جانفي، الجزائر، ص 6.

[6] يعقوب قام، البراغماتية أو مذهب الذرائع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 1998م، ص 131.

[7] J duBoIS .et autres . dictionnaire de linguistique .lifrairie la ransse ,paris,France ,p375.

[8] محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 2002م، ص 9.

[9] خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في لسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2006م، ص 158.

[10] المرجع نفسه، ص 160.

[11] نعمان بوقرة، المدارس اللسانية، مكتبة القاهرة، مصر، ط01، 2003م، ص 165.

[12] إبراهيم إبراهيمي، استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاثة للبشير الإبراهيمي، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة قالمة، 2007-2008م، (المقدمة).

[13] ابن منظور، لسان العرب، تح: مجموعة من الأساتذة، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994م، ج3، ص 369.

[14] المرجع نفسه، ج6، ص 435.

[15] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط2، 1991م، ج3، ص117.

[16] أشرف الكناني، الأدلة الاستثنائية عند الأصوليين، دار النفائس، عمان، الأردن، ط1، 2005م، ص 218.

[17] فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية (تأليفها وأقسامها)، دار الفكر، عمان، ط1، 2003م، ص 63.

[18] صائل رشدي شديد، عناصر تحقيق الدلالة في العربية -دراسة لسانية -، دار الأهلية، الأردن، ط1، 2004م، ص172.

[19] روبرت دي بوغراد، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، بيروت لبنان، ط1، 1998م، ص 90.

[20] حسين عيون، المنهج في المراسلات الإدارية ونماذج الأعمال القضائية، مطبعة المعارف، عنابة، الجزائر، ط3، 2004م، ص 24.

[21] حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ط01، 1970م، ص 174.

[22] رابح العوبي، مضامين الرسائل السياسية في القرن الثاني والثالث للهجرة، مطبعة المعارف، عنابة، ط1، 2003م، ص 74.

[23] الطبري أبو جعفر بن جرير، تاريخ الأمم والسلوك، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، (د، ط)، 1939م، ج7، ص 402، 404.

[24] Marie Noelle-Gary Prieur :Les Termes Ches De La Lingstique Edition Du –Seuil,Octobre 1999,P44.

[25] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، (دراسة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ليبيا، ط1، (د، ت)، ص 41.

[26] المرجع نفسه، ص 41 وما يليها.

[27] براون ويول، تحليل الخطاب، تر وتع: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك مسعود، الرياض، (د، ط)، 1997م، ص 280.

[28] المرجع نفسه، ص 280.

[29] جون جوزيف وآخرون، إعلام الفكر اللغوي (التقليد العربي في القرن 20)، تر: أحمد شاكر الكرسي، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، الجماهيرية الليبية العظمى، ط1، 2006م، ج2، ص 110.

[30] الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمد رضوان الداية وفايز عبد القاهر، دار قتيبة، سوريا، ط1، 1983م، ص 184 وما يليها.

[31] Paul grice: studies in the way of works ,horard university press combridge,use ,p26,27.

[32] جون جوزيف وآخرون، إعلام الفكر اللغوي، ص 101.

[33] سالم شاكر، مدخل إلى علم الدلالة، تر: محمد يحتاتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط)، (د، ت)، ص 31.

[34] سمير عالية، علم القانون والفقه الإسلامي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ص 1.

[35] براون وبول، تحليل الخطاب، ص37.

[36] محمد خطابي: لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 1991م، ص 52.

[37] ناصر المبارك، الطاهر اللغوي في الثقة العربية، دراسة في المنهج الدلالي عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط1، 2004م، ص 212.

[38] إبراهيم إبراهيمي، استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاثة للبشير الإبراهيمي، ص 110.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب العربية:

1.ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط2، 1991م.

2. ابن منظور، لسان العرب، تح: مجموعة من الأساتذة، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994م.

3. أشرف الكناني، الأدلة الاستثنائية عند الأصوليين، دار النفائس، عمان، الأردن، ط1، 2005م.

4. حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ط01، 1970م.

5. حسين عيون، المنهجي في المراسلات الإدارية ونماذج الأعمال القضائية، مطبعة المعارف، عنابة، الجزائر، ط3، 2004م.

6. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في لسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2006م.

7. رابح العوبي، مضامين الرسائل السياسية في القرن الثاني والثالث للهجرة، مطبعة المعارف، عنابة، ط1، 2003م.

8. سمير عالية، علم القانون والفقه الإسلامي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت).

9. صائل رشدي شديد، عناصر تحقيق الدلالة في العربية -دراسة لسانية -، دار الأهلية، الأردن، ط1، 2004م.

10. الطبري أبو جعفر بن جرير، تاريخ الأمم والسلوك، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، (د، ط)، 1939م.

11. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمد رضوان الداية وفايز عبد القاهر، دار قتيبة، سوريا، ط1، 1983م.

12. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، (دراسة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ليبيا، ط1، (د، ت).

13. فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية (تأليفها وأقسامها)، دار الفكر، عمان، ط1، 2003م.

14.محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 1991م.

15.محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 2002م.

16.ناصر المبارك، الطاهر اللغوي في الثقة العربية، دراسة في المنهج الدلالي عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط1، 2004م.

17.نعمان بوقرة، المدارس اللسانية، مكتبة القاهرة، مصر، ط01، 2003م.

18.يعقوب قام، البراغماتية أو مذهب الذرائع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 1998م.

الكتب المترجمة:

18. براون ويول، تحليل الخطاب، تر وتع: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك مسعود، الرياض، (د، ط)، 1997م.

19. جون جوزيف وآخرون، إعلام الفكر اللغوي (التقليد العربي في القرن 20)، تر: أحمد شاكر الكرسي، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، الجماهيرية الليبية العظمى، ط1، 2006م.

20. روبرت دي بوغراد، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، بيروت لبنان، ط1، 1998م.

21. سالم شاكر، مدخل إلى علم الدلالة، تر: محمد يحتاتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط)، (د، ت)

المقالات والمجالات:

20. الطاهر لوصيف، التداولية اللسانية، مقال منشور بمجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع17، 2006، جانفي، الجزائر

الرسائل الجامعية:

21. إبراهيم إبراهيمي، استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاثة للبشير الإبراهيمي، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة قالمة، 2007-2008م.

الكتب الأجنبية:

22.Dictionnaire Hachette Hachette Livre Paris, Edition 2005 .

23. J duBoIS .et autres. dictionnaire de linguistique. lifrairie la ransse, paris, France

24. Marie Noelle-Gary Prieur :Les Termes Ches De La Lingstique Edition Du – Seuil,Octobre 1999.

25. MorrisCharles ;foundations of the theoryof signs ,chicago,1972.

26. Paul grice: studies in the way of works ,horard university press combridge,use .

27. the combridgedictionary of philosophy,lycan ,1995.